شكر وصلاة و سلام

هل يمكننا اعتبار فرح أحدنا عربون شكر و امتنان تجاه الوجود ؟ أم أن العكس هو الصحيح ؟ نفرح أولاً ثم يأتي الشكر ثانياً ؟

يأتي اختبار الفرح أولاً؛ تأتي أولاً حالة من الوعي تجعل ورودنا في أجمل تفتح ممكن لها؛ حالة تصبح فيها النشوة الغامرة حالة طبيعية... يغمرنا رقص عظيم وسلام عظيم، يشرق فينا صمت عميق و هدوء؛ إنه صمت الزهور و ليس صمت القبور؛ إنه صمت مملوء بالحياة وينبض مع القلوب ... إنه اختبار الفرح الغامر ... و بعد أن يغمرك شعور الفرح هذا يفيض داخلك بشعور من الشكر و الامتنان تجاه الوجود الذي جعل اختباراً كهذا ممكناً بالنسبة لك .

فرح و شكر... هذه هي الصلاة الحقيقية، أما تلك التي تقام في دور العبادة أمام التماثيل الحجرية لله فهي صلوات

مليئة بالطمع لأنها سؤال و طلب لشيء ما، و عندما تطلب شيئاً فهذا يعني أنك تشكو وتتذمر من شيء آخر تطلب من الله إصلاحه ... صلوات المعابد لا شكر فيها و لا امتنان بل على العكس فيها إشارات لعدمه.

أن تطلب شيئاً يعني أنك لم تحصل على ما تستحق؛ يعني أن هناك حقاً متأصلاً فيك لم يقدم لك فتلقي بالمسؤولية عندها على الوجود.

بدلاً من نفيض امتناناً تجاه ما أعطي لنا نمتلئ طمعاً بما يطالب به طمعنا؛ تجاه ما يريده طموحنا و عصابيتنا وبالاتجاه الذي تقودنا إليه رغباتنا... إن الصلاة فيما يسمى معابداً و دوراً لله ليست صلاة حقيقية بل صلاة تفوح منها رائحة الطمع، الرغبات و الشهوة.

لا يدرك معنى الصلاة الحقيقية سوى المتأمل الذي لا يوجهها لإله افتراضي لا وجود لدليل على وجوده... نعم، هناك دليل واضح على الورع و على التقوى... هناك نوع من القداسة في شروق الشمس عند الصباح؛ هناك نوع من

الألوهية في السماء ذات النجوم و في جمال الطيور تحلق بجناحيها؛ هناك ألوهية و قداسة في الزهور و الأشجار وهناك شعور بالتقوى في المحيطات و البحار .

هذا الكون كاف و مكتف بنفسه ولا يحتاج لأي إله، أما إله فعزاء يقوده الجاهل ليبرر جهله و ضعفه، أما المتأمل فيواجه الكون و الوجود؛ يصبح و جود المتأمل اختباراً للقداسة و الألوهية بحد ذاتها و يعلم بوجوده الداخلي أنه جزء من الحياة الأبدية، يعلم أنه لا وجود لأي موت في أي مكان ...وما هي نتيجة اختبار كهذا ؟ يرقص داخلك و تشرق فيه رقصة غاية في الرقة العذوبة، يشرق فيك شكر عميق؛ شكر لا لأحد بل للكون بأكمله... شكر للنجوم و للأشجار، شكر للأرض و للقمر و شكر لكل الحيوانات و البشر... شكر غير موجه.

ما لم يختبر أحدنا و يتعرف على الامتنان غير الموجه لن يكون قادراً على فهم المعنى الحقيقي للصلاة، أما الآن فنستخدم الكلمة « صلاة » بمدلولها الخاطئ و علينا

استخدام الكلمة « ورع أو خشوع » بدلاً عنها، كما استخدمنا الكلمة « ألوهية و قداسة » بدل الكلمة لإله أو آلهة.

في أحد الكتب عن أهم عظماء الإنسانية و عندما أراد الكاتب أن يتحدث عن بوذا كتب شيئاً رائعاً « بوذا هو الرجل الأكثر ألوهية » لم تعترف البوذية بوجود أي إله لكنها تؤمن بأن كل شخص يمكنه أن يصبح إلهاً... كل ما تحتاجه لتصبح إلهاً هو أن تدرك كل قدراتك إدراكاً كاملاً، أما البذرة فموجودة بذاتها؛ إنها في رحم ذاتها والنتيجة هي الإزهار الكامل لجنة الورود.

يمكن أن يكون في الوجود آلهة بعدد ما فيه من موجودات حية شريطة أن يبلغ كل شخص احتماله الأعظم، أما فكرة وجود إله واحد قد خلق العالم بأسره فدكتاتورية، تعصبية وفاشية... إله واحد خطير جداً على جميع مبادئ الديمقراطية و عند قبولنا بفكرة خالق واحد للوجود نكون قد حرمنا الإنسان من بهائه و من جماله و حريته

وحولناه إلى مجرد دمية تتحرك... إذا كان الله هو الخالق فلن نتمكن من الحصول على أية حرية؛ إذا كان هو المتحكم بالعالم فأي معنى للحرية عندئذ ؟ و ماذا نفعل بأنفسنا عندها ؟

هناك اعتقاد شائع و إيمان راسخ مفاده أنه لا يمكن حتى لورقة من شجرة أن تتحرك دون إرادة إلهية و نعتقد أننا في قمة التدين عندما نسلم بمقولات كهذه، إذا كانت الحقيقة كذلك فماذا عنا و عن حريتنا ؟ نحن إذاً دمى تتحرك بخيوط تمسكها يد إله لا نعرفه، فإذا أراد لنا التعاسة سنكون كذلك و سنكون في غاية السعادة إذا أراد لنا ذلك... لا، ليس الإنسان من تليق به حياة كهذه ومعاملة كهذه، و بسبب هذا و غيره كنا و لا زلنا متسولين شحاذين.

هناك معلمون و منهم بوذا لم يعترفوا بوجود الله لأنهم أرادوا للإنسان أن يستعيد بهاءه و كرامته و مكانته واحترامه لذاته و يصبح بذلك ملكاً، أما الاستسلام لإله

واحد و حرية الإنسان لا يمكن أن يجتمعا... لم يأت إنكار هؤلاء بدافع الإلحاد بل بدافع الحب للحرية العظمى، و هذا مختلف بالطبع عما نألفه من مواقف المنكرين الملحدين فلا علاقة لهؤلاء بحرية الإنسان و إنما يريدون قيادته إلى الفجور و يقولون « كل و اشرب كما يحلو لك، تزوج كما يحلو لك فلا إله يحاسبك و لا حاجة بك للخوف و لا حاجة لتحمل أية مسؤولية تجاه الحياة و لا حتى تجاه نفسك .» و بالتالي يحولن الإنسان إلى حالة من البلادة فقد أنكروا الجوهرة الداخلية و رفضوا كل شيء عن الروحانية.

إذا لم يكن ذلك الموحد ملحداً فهل هو موحد بالضرورة ؟ لا أيضاً، لم يفترض بوذا وجود أي إله وهمي ليقوم بعبادته، بل على العكس تماماً وجه الإنسان ليكف عن النظر خارجاً و البحث عن الألوهية في السماء و التوجه للبحث في الداخل، فلا حاجة للبحث في الخارج لأنه لا وجود لأي شيء هناك... ابحث في الداخل فإذا استطعت

ذلك بعينين مغمضتين و بصمت عميق فلا شك أنك ستبدأ باختبار أبعاد جديدة من الحياة و الوجود... حياة لا يمكن تسميتها سوى قداسة؛ لا يمكن تسميتها سوى ألوهية، شيء يتجاوز المادة بكل أبعادها و قوانينها فأنت لست مادة و لا تنتهي عند حدودها.

قد تكون المادة أساساً للحياة لكنها ليست نهاية لها و لا هي غايتها القصوى، قد تكون المادة جذوراً للشجرة لكنها ليست ورودها، و ما دمت غير قادر على اختبار الوعي المتفتح فيك فلن تكون قادراً على اختبار السعادة الغامرة.

السعادة الغامرة هي الهدف النهائي و الاختبار النهائي لقدومك إلى هذه الحياة؛ إنها الاختبار النهائي لشعورك بالطمأنينة مع الوجود و هي الاختبار النهائي لذوبانك بالوحدة الكلية و التناغم الكلي.

عندما يخفق قلبك بخفقان قلب الوجود؛ عندما تصبح رقصتك الصغيرة جزءً من الاحتفال الوجودي الكبير حولك

و عندما تصبح جزءً من هذه القداسة التي تسمى وجوداً يفيض من داخلك شكر و امتنان عظيمين، لست بحاجة لفعل شيء بل ستجد كل شيء يفيض كما يفيض العطر من الزهور ... إنه شيء تلقائي؛ إنها صلاة.

حدث أن أخبر 'Leo Tolstoy رئيس أساقفة الكنيسة الأرثوذوكسية في روسيا بأن الآلاف من المواطنين تزور ثلاثة قروين مغمورين تماماً في جزيرة صغيرة في بحيرة منهم بأن هؤلاء الثلاثة قد أصبحوا قديسين ... دفع هذا رئيس الأساقفة للشعور بالغضب لأن القوانين المسيحية تفرض موافقة الكنيسة قبل أن يدعى أحدهم قديساً... أيمكنك تصور غباء كهذا ؟ هذا ما حصل لقرون طويلة، حتى أن الأصل الإنكليزي لكلمة قديس مشتق من مفردة معناها « تصريح من الكنيسة » و كأن المسألة مسألة ذهاب للجامعة للحصول على لقب أو شهادة.

لا يمكن منح شهادة في القداسة، و لا يوجد من هو مؤهل لإعلان قداسة أحدهم لأن القداسة حالة ذاتية تعبر عن

نفسها بنفسها و لن تتعرف عليها إلا عندما تراها وتدركها؛ لن تتعرف عليها إلا عندما تشعر بها و ليست بحاجة لقبول آخر أو لإذن من أحد.

لكن رئيس الأساقفة كان غاضباً و كان يقول « كيف يمكن لثلاثة قرويين حمقى أن يصبحوا قديسين دون إذن مني ؟! » لكن الناس لم يتوقفوا عن زيارة الجزيرة بل تابعوا ذلك دون الذهاب إلى حضرة المسؤول الديني الكبير.

قرر رئيس الكنيسة أخيراً الذهاب بنفسه ليرى ما الذي يجري على الجزيرة، لذلك استقل زورقاً آلياً و مضى... كانت الجزيرة صغيرة جداً و لم تكن فيها سوى شجرة واحدة جميلة و في ظلها جلس الرجال الثلاثة.

بالنظر إليهم أدرك رئيس الأساقفة بأنهم أناس غير مثقفين و تساءل عمن أشاع هذه الشائعة و دهش لسذاجة أناس يأتون لرؤية هؤلاء... عند هبوطه على الجزيرة سعد لمبادرتهم بالانحناء أمامه للتحية ثم قال « أأنتم القديسون الثلاثة الذين تتحدث عنكم البلدة بكاملها ؟ »

فأجابوا « لا نعلم شيئاً، يأتي الناس لزيارتنا و لا نستطيع منع أحد من ذلك، كل ما نعرفه هو أننا في رضى تام ومطلق؛ كل ما نعرفه هو أنه لم تعد هناك أية رغبات و لم يعد هناك أي طموح... الحياة فرح عظيم و نحن مستمتعون بها، لا نعلم شيئاً أكثر من ذلك فنحن قرويون و لسنا على درجة من الثقافة.»

سر الزعيم و قال « و لكن أي نوع من الصلاة تؤدون ؟ »

نظر الثلاثة إلى بعضهم بخجل و ارتباك ثم أجاب أحدهم أخيراً « لا نؤدي الكثير من الصلاة، لقد ابتدعناها لأنفسنا و لا نعلم ما الصلاة المقررة من الكنيسة وسنخبرك بأي شيء نفعله. »

تؤمن المسيحية بالثالوث الإلهي المقدس « الآب، الابن والروح القدس » ثلاثة قرويين و ثالوث إلهي مقدس، هذا ما جعل القرويين يظنون بأن صلاتهم هي « أنت ثلاثة و نحن ثلاثة، يا لها من نعمة أنعمتها علينا و لا نعلم أكثر من ذلك. »

غضب الرئيس و قال « ليس هكذا يتصرف المسيحي و كيف تجرؤون على ابتداع صلاة غبية كهذه ؟ سأعلمكم الآن على النسخة الحالية التي اعتمدتها الكنيسة. »

فقال الثلاثة « سنكون في غاية الشكر و لكن اجعلها قصيرة قدر الإمكان لأننا غير مثقفين و لا نستطيع تذكر النصوص الطويلة. »

فقال « عليكم تذكرها» فأجابوا « سنحاول. »

تلى الرجل الصلاة كاملة لكنها كانت طويلة بالفعل، وعند انتهائه قال أحد الرجال « عليك أن تكررها ثلاث مرات على الأقل لأننا ثلاثة، كن لطيفاً و طيب القلب لنتمكن من حفظ الصلاة. »

كررت الصلاة مرات ثلاث و أصغى الرجال بصمت مما جعل رئيس الأساقفة في غاية الفرح و قال « أنتم رجال طيبون و لكن عليكم تعلم الصلاة التي علمتها لكم. »

ثم غادر الجزيرة مستقلاً قاربه الآلي.

و لكن عندما أصبح القارب وسط البحيرة رأى قائده شيئاً كالغيمة يقترب منه بسرعة، و لم يكن قادراً على تصور ما يجري... رأى الرجال الثلاثة يقتربون منه راكضين على الماء و قالوا « انتظر من فضلك، لقد نسينا الصلاة و عليك أن تعيدها ثلاث مرات أخرى على الأقل. »

عند رؤيته لهم يسيرون على الماء فكر رئيس الأساقفة «ربما للم يكن من الضروري القدوم و إقلاق راحة هؤلاء الرائعين» ثم قال « اعذروني للتدخل في حياتكم، تابعوا صلاتكم القديمة التي سمعت أما صلاتي فلم تسمع بعد، لم تسمع لأنها ليست سوى صلاة عقلية لإله وهمي أما صلاتكم فقادمة من القلوب، ليست صلاتكم سؤالاً لشيء ما و إنما شكر و عرفان تجاه سعادتكم ورضاكم و لا تملكون سوى هذا الرضا و هذه السعادة... سعادتكم كافية و أي طريقة تختارونها للتعبير عن شكركم صحيحة و كافية و رائعة أما صلاتنا فلا حاجة لكم بها، على العكس فأنا أشعر بالتعاسة لأنني فقدت حياتي

بقراءة و تعليم و مراكمة النصوص المقدسة لكنني لا أستطيع السير على الماء... لقد سمعت صلاتكم البريئة والبسيطة. »

لست بحاجة للإيمان بأي إله لتتكون متديناً بل عليك أن تكون متديناً لتتعرف على الألوهية الساكنة فيك، لكن أديياننا تضع الثور خلف العربة مما أدخل إنسانيتنا في معاناة دائمة حيث لا نمو ولا تقدم... و لا أي نهضة روحية.

عندما يذوب تدينك في دوامة الوجود؛ عندما ينصهر فرحك بها، عندما يصبح اختبارك لداخلك و لجوهرك جزءً من الوجود ستكون قادراً على أن ترقص صلاة و ستكون قادراً على أن تغني صلاة، لا تحتاج صلاتك شيئاً عقلياً بل يجب أن تفيض من وجودك بعفوية وتلقائية... و عندها تكون صلاتك شكراً بسيطاً.

لن تكون شكراً لأي إله فلا وجود لإله شخصي بل ستكون شكراً للكون بأسره.

إن الكون حكيم ... إنه إلهي و مقدس .

لا، الفرح الغامر ليس تعبيراً عن الامتنان للوجود، بل العكس الامتنان تعبير عن الفرح الغامر... كيف لك أن تعرف ما الشكر قبل أن تختبر الفرح ؟ ستشكر ماذا ؟

من الأفضل وضع الأشياء في ترتيبها الصحيح، و لذلك يأتي أولاً البحث عن تلك اللحظات النادرة التي تكون فيها متناغماً مع الوجود، ابحث و تحرى في المسار الداخلي لتكون قادراً على معرفة من تكون.

معرفة من تكون؛ معرفة نفسك هي الدين الكامل و ما سواها هوامش و إضافات.

عرف سقراط الدين الحقيقي الجوهري بتعريف بسيط لا يتعدى الكلمتين « اعرف نفسك. »

كلمتان تختصران كل النصوص المقدسة في العالم وتختصران كل الاختبارات الداخلية التي توصل إليها الذين تعرفوا على أنفسهم، في اللحظة التي تتعرف فيها على نفسك تكون قد تعرفت على أنفس شيء في الوجود؛ تكون قد تعرفت على وعيك و على فرحك... تكون قد

تعرفت على أجمل شيء في الوجود؛ شيء لا يكاد يصدق، تكون قد تعرفت على الموسيقا الإلهية، تكون قد اختبرت مالا يمكن تسميته إلا موسيقى الصمت... الألماس في اللوتس... اختبار لجمال لا تمكن رؤيته بالعيون المفتوحة، اختبار لموسيقا لا يمكن سماعها بالآذان العادية لكنها هناك في المركز العميق و ما عليك سوى السفر إليها .

أنصحك ألا تعير انتباهاً لأي نص أو كتاب؛ أنصحك ألا تصغي لأي كنيسة أو مسجد أو معبد و ألا تبالي بأي نظرية فلسفية أو لاهوتية.

الدين ليس إلا أمراً بسيطاً و متواضعاً ...

امض إلى الداخل فقط .

اعرف نفسك فقط وكن أنت... و عندها سيغمرك فرح غامر يعادل انهمار آلاف الورود عليك، و عند اختبار كهذا فقط يشرق فيك شكر عميق، أما قبل اختبار شيء من القمة فلا معنى لأي شكر أو امتنان .

شكر فرح... فرح و شكر و صلاة... هذه هي لغة الوجود ، و لكن هل في الوجود ألم و هل فيه اعتلال ؟

في الحقيقة أمور كهذه غير موجودة، فلا يعرف الوجود سوى الروعة و التكامل و الكمال، لا يعرف إلا الصحة أما أمراض و اعتلالات فلا يعرفها... و لا يعرف الوجود الموت... أن تتجاوز عقلك و قلبك يعني أن تتجاوز ثنائية الوجود و هذا التجاوز هو الذي يقودك إلى وجودك.

يعني الوجود ببساطة أن تتحرر من غرورك « الأنا » و الذي هو جزء من عقلك و أن تتحرر من العزلة التي هي جزء من قلبك و تكون بذلك قد تحررت من الحواجز و العوائق التي تفصلك عن الكلية ، و عنها فقط تنساب قطرة نداك من أوراق الورود لتذوب في المحيط ... لقد اتحدت به .

عندما تتحد القطرة بالمحيط تبلغ و لأول مرة في حياتها قمة قممها و هذا ما تحققه عندما تتحد بكلية الحياة والوجود و هذه هي طبيعتك .

قدم النفساني وليم جيمس تسمية جديدة للاختبار الروحي و هي « الاختبار المحيطي » و كان محقاً تماماً في ذلك، فالاختبار الروحي هو اختبار التوسع غير المتناهي حيث تختفي كل الحدود، لقد جاءت اللحظة التي لن ترى بعدها أية حدود لك؛ لقد أصبحت منذ اليوم المحيط بكامله ... لا زلت أنت و لكن لا سجون بعد اليوم، أنت لا زلت أنت و لكن لا أقفاص بعد اليوم... لقد خرجت من القفص؛ لقد خرجت من سجنك و ها أنت تحلق بجناحيك نحو السماء بحرية مطلقة.

الطائر في القفص مختلف تماماً عن شقيقه الذي في السماء فذاك الذي في القفص فقد حريته؛ فقد سماءه الواسعة و فقد فرح الرقص مع الريح و مع الأمطار؛ فقد فرح الرقص مع الشمس... ربما نسكنه قفصاً ذهبيا لكننا سلبناه بهاءه؛ سلبناه حريته و فرحه و حولناه إلى سجين، قد يبدو كالطائر في السماء شكلاً لكنه في الحقيقة مختلف تماماً.

الإنسان المقيد بحدود الحس، الفكر و القلب هو سجين بجدران فوقها جدران فوقها جدران .

وصف أوشو آخر سجن اعتقل فيه في الولايات المتحدة قائلاً بأنه ذو ثلاثة أبواب و قد شيد باستخدام تكنلوجيا فائقة التطور... كان كل شيء في السجن إلكترونياً، كما كانت الأبواب الثلاثة فائقة الضخامة مما جعل من المستحيل بمكان على إنسان تجاوزها إضافة إلى أنها مكهربة بحيث يؤدي مجرد لمسها للموت... كانت الأبواب متتالية و لا تفتح إلا باستخدام متحكم إلكتروني يحتفظ به السجان في سيارته... يضغط السجان المفتاح فتفتح البوابة الأولى الأشبه بجبل حديدي، عند دخول السيارة من الباب الأول عليها الانتظار حتى يغلق ليعمل المتحكم الإلكتروني على فتح الباب الثاني، أما الثالث فلا يفتح حتى يغلق الثاني .

قال أوشو للسجان و هما يدخلان عبر هذه السلسلة من الأبواب « من الممكن أنك لم تدرك بأنك بدخولك عبر هذه الأبواب تعبر عن رمز ذي معنى .»

فقال « رمز ماذا ؟»

فقال أوشو « الجسد هو الباب الأول، الفكر هو الباب الثاني أما القلب فهو الباب الثالث و خلف هذه الأبواب الثلاثة تقبع الروح المسكينة... إنها حالة الإنسان؛ هو رمز الإنسان. »

فقال السجان « أظنها مجرد صدفة و لا أعتقد بأن أحداً قد فكر بذلك، إنها ثلاثة أبواب و لا أدري لما هي ليست أربعة. »

لكن أوشو عاد و قال « كائناً من كان من بنى هذا السجن فمن الممكن أنه قد أدرك في لا وعيه حالة التماثل و التطابق بين الوعي الإنساني السجين و بين إعداد السجون للبشر...»

عندما نتجاوز الجسد و هي عملية ليست بتلك الصعوبة، لأن الجسد جميل للغاية و لا زال متوافقاً مع الطبيعة إلى حد ما مما يدفعه لعدم إبداء المزيد من المقاومة نصطدم بالمشكلة الحقيقية وهي الفكر... الفكر هو المشكلة الحقيقية لأنه وليد المجتمع الإنساني و قد خلق ليجعلك مستعبداً على الدوام... الجسد جميل لأنه لا زال طبيعياً؛ لا زال جزءً من الأشجار و الجبال؛ لا زال جزءً من النجوم والمحيطات و لم يصبه التسمم الاجتماعي تقريباً... لا زال يقاوم التسمم بالأديان و بالمعابد و كهنتها، أما الفكر فقد وقع فريسة كل هؤلاء ممن أمطروه بحقائق خاطئة... أصبح الفكر أشبه بقناع يختفي وراءه وجهنا الطبيعي الأصلي.

أما أن تتجاوز الفكر فهو في الحقيقة ما يشكل فن و موضوع التأمل، و قد كرس الشرق عشرة آلاف عام لموضوع واحد هو كيف لنا أن نتجاوز الفكر و شروطه...

و لقد أفضى هذا العمل المتواصل في النهاية إلى الذروة الذهبية التي ندعوها تأملاً.

التأمل بأبسط تعريف له هو مراقبة الفكر، فإذا تمكنت من مراقبة فكرك بهدوء و صمت تامين و دون أي تبرير أو إعجاب و دون أية إدانة أو حكم – مع أو ضد – مراقبة فقط كما لو أنه لا علاقة بينك و بين فكرك، كما لو أنك تراقب حركة المرور فيه – تقف على جانب الطريق وتنظر فقط، و هنا تحدث معجزة التأمل حيث يبدأ الفكر بالاختفاء التدريجي البطيء .

فور التخلص من الفكر و تجاوزه نصل إلى الباب الثالث والأخير و هو رقيق و ضعيف جداً كما أنه لم يتلوث بتأثير المجتمع أيضاً... إنه القلب، و فور وصولك إليه يفسح الطريق أمامك و لا يبدي ممانعة تذكر ... إنه مستعد دائماً لاستقبالك ليفتح الباب أمامك لتمضي إلى الوجود ... إنه صديقك .

العقل عدوك و الجسد صديقك أما القلب فصديقك أيضاً و بين الصديقين يقف العدو كجدار بارتفاع جبل، و لكن يمكن تجاوز هذا الجبل بطريقة سهلة أسماها بوذا «فاياساانا» و دعاها آخرون «دهايان» و عرفت باليابانية «زن» و في الإنكليزية «Meditation» أما في العربية فهي «تأمل» و لكن مهما كانت المعاني غير الشرقية فلا يمكن لها أن تعطي المعنى الدقيق لتلك الكلمة و ما الترجمات المعجمية إلا استخدامات اعتباطية.

فعلى سبيل المثال اعتدنا على تعريف التأمل بأنه تفكير في شيء ما، فعندما نسمع نحن العرب أو الغربيين كلمة تأمل نبادر للسؤال «تأمل على ماذا ؟» و السبب في ذلك أن التأمل لم يبلغ في هذه المناطق درجة « دهايان أو زن » كما هو الحال في الشرق... فكيف نتأمل على شيء، أي نفكر به و التأمل بكامله قائم على اختفاء الفكر و التفكير ؟!

التأمل ببساطة وعي و يقظة و ليس التفكير بشيء ما أو التركيز أو التفكر... تتعامل المصطلحات المعجمية للتأمل مع شيء ما لكنه في الحقيقة حالة من الوعي و الإدراك.

لاحظ المرآة، هل تعتقد بأنها تركز على شيء محدد ؟ لا فهي تعكس كل ما تصادفه أمامها... سواءً أكانت أمامها امرأة جميلة أم قبيحة أم لم يكن أمامها أحد... لا تعرف المرآة سوى عكس ما تصادفه و هكذا التأمل انعكاس لأفكارك فأنت تراقب كل ما يحدث أمامك.

فقط بهذه المراقبة البسيطة سيختفي الفكر إلى الأبد... لطالما سمعنا بالمعجزات لكنها المعجزة الوحيدة و ما سواها من معجزات ليست سوى قصصاً.

يسير المسيح على الماء، يحول المسيح الماء إلى خمر كما أنه يحيي الموتى... جميعها قصص جميلة شريطة أن نفهمها برمزيتها لتعطي دلالتها العظيمة، أما الإصرار على أنها حقائق تاريخية فغباء ببساطة... قصص جمالها برمزيتها.

رمزياً، يعمل كل معلم لإعادة الأموات إلى الحياة... ماذا يقصد أوشو من كل أقواله، محاضراته و كتبه ؟ إخراج البشرية الميتة من قبورها إلى النور ثانية وهذا ما اعتدنا سماعه عن المسيح... لكننا اعتدنا على حياة القبور لأعوام و حيوات طويلة لذلك نرفض الخروج منها و نقول « ماذا يريد هؤلاء منا ؟ هذه حياتنا ومنازلنا و لقد عشنا هنا آمنين لعصور فلم الإزعاج ؟ »

رمزياً، يحاول كل معلم منحنا حياة جديدة، أما الآن فلا تبدو علينا ملامح الحياة الحقيقية و إنما حياة بطيئة لإنجاز الوظائف الحيوية لا غير.

ورد في النصوص الصوفية قصة غريبة تجاهلها المسيحيون تماماً من نصوصهم.

أتى المسيح إلى مدينة و قد زارها من قبل، و عند وصوله رأى رجلاً يعرفه، كان هذا الرجل أعمى و قد عالج المسيح عينيه... كان الرجل يطارد عاهرة فأوقفه المسيح وسأله « أتذكرني ؟ »

فأجب لرجل « أذكرك ولا أستطيع أن أغفر فعلتك، كنت أعمى و كنت في غاية السعادة لأنني لم أرى أي جمال من قبل، منحتني عيوناً و عليك الآن إخباري ما الذي علي فعله بهما و هما تنجذبان نحو النساء الجميلات ؟»

صدم المسيح بما سمع و لم يستطع تصديقه ثم فكر «كنت أظن بأني صنعت معروفاً مع هذا الرجل و هو الآن غاضب و يقول « لم أفكر بالنساء قبل أن منحتني عيوناً ولم أعلم بأن هناك عاهرات، لكنك دمرتني منذ منحك تلك العيون لي !»

غادر المسيح الرجل دون أن يقول شيئاً فلم يكن هناك ما يقال، لكنه بالكاد غادر حتى لقي رجلاً آخر و قد استلقى في قناة لمياه غير نظيفة و أخذ يشتم بكل أشكال الشتائم و التفاهات، إنه ثمل تماماً... رفع المسيح الرجل من القناة فعرفه فوراً فقد منحه أرجلاً من قبل، فسأله أعرفتني؟

فأجاب « رغم أنني سكران إلا أنني عرفتك و لا أستطيع أن أغفر لك ما فعلت... أنت من أقلق هدوء حياتي، دون أرجل لم أكن قادراً على الذهاب لأي مكان و كنت لذلك أنعم بالسلام، فلا صراع و لا مغامرات و لا حاجة للبحث عن أصدقاء، لم أكن بحاجة للذهاب إلى الحانات... أعطيتني أرجلاً و لم أجد لحظة سلام بعدها... أطارد هذا و ألاحق ذاك ثم أسكر عندما أتعب، ها أنت ترى ما الذي يحدث و أنت المسؤول، كان عليك أن تخبرني عن كل شيء يمكن أن أواجهه، لكنك و ببساطة أعطيتني أرجلاً دون أن تطلب موافقتي ! »

غادر المسيح المدينة دون أن يتقدم أكثر و تساءل « من يدري أي نوع من الناس سأقابل ؟» و عند أطرافها لقي رجلاً يحاول شنق نفسه بالتدلي من شجرة فقال له « انتظر... ما أنت فاعل ؟»

فأجاب « هذا أنت و قد أتيت ثانية، كنت ميتاً و أرغمتني على العودة للحياة مرة أخرى... فقدت عملي، غادرتني

زوجتي لأنها اعتقدت بأنه لا يمكن إعادة رجل قد مات إلى الحياة و تظنني الآن لست سوى شبح، لا يريد أحد مقابلتي و يعرض عني الأصدقاء، أذهب إلى المدينة فلا إلي أحد... ماذا تريدني أن أفعل... و عندما أقرر العودة إلى الموت أراك أمامي من جديد، لماذا تحاول الانتقام مني ؟ هلا تركتني وحيداً، أريد العودة إلى الموت... كنت ميتاً فأحييتني و دون شك إذا مت ثانية فستعيدني للحياة... تستمتع بفعل المعجزات و لا تبالي بمن يعاني بسبب معجزاتك. »

عندما ننظر إلى هذه الحادثة كقصة سنحبها دون شك وعلينا جميعاً التعرف عليها... أما المعجزات فهي غير موجودة و لا توجد سوى معجزة واحدة و هي التأمل {صحيح أن هناك بعض الظواهر الغريبة كالسير على الماء والتربع في الفضاء و ما شابهها، لا تعتبر أشياء كهذه معجزات و إنما مهارة في استخدام الطاقة و علومها، وهناك ظواهر أخرى تحدث مع أهل الذكر و تسمى كرامات إلهية و هي في الحقيقة ملكة جماعية لكنها لا

تظهر إلا بعد فترة من اتباع العادات التدينية الصحيحة كعدم الكذب و المجاملة و عدم الحلفان بالله و عدم دعائه و عدم ذكره بالطرق المألوفة... و لكن كما تقول مريم يجب إزالة هذه الكرامات و كبتها لأنه لا جديد فيها و لا تشير إلى شيء من جهة و تتسبب لصاحبها بزيادة الاستكبار و الذي يعتبر ثاني أصعب عقبة بعد الكبت الجنسي تواجه الإنسان في رحلته الحياتية و الدينية من جهة أخرى }

معجزة التأمل وحدها من يستطيع تحريرك من الفكر أما القلب فمستعد دائماً للترحيب بك؛ إنه مستعد ليمنحك طريقاً نحو وجودك و وجودك هو كليتك و هو قمة قممك.

آلام الرأس ممكنة و آلام القلب كذلك لكن الابتعاد أعمق غير مقبول، أبعد من ذلك لا يوجد أي ألم أو معاناة... تجد أعمق من القلب كل ما تمنيته و حلمت به عن وعي و عن غير وعي؛ بإرادة أو بغير إرادة .

تعطي جميع الأديان التي تدعى سماوية فكرة خاطئة عن حياة واحدة للإنسان و حتى من يشير إلى تعدد الحيوات لا يمضي أعمق من الإشارة بشيء مما أوقع حياتنا بالعديد من المشاكل .

لكن الرحلة طويلة جداً و هذا ما أجمعت عليه جميع الأديان الشرقية و لم يعد موضوعاً قابلاً للجدال إلا في بعض حالات الدفاع عن الجهل بفعل العصابية... كنت في هذا العالم لآلاف الحيوات لكنك و للأسف تدور في حلقة مغلقة واحدة... و هكذا نفقد الحياة تلو الأخرى دون تطور في الوعي مرتكبين السلسلة نفسها من الأخطاء .

نقول بأن التاريخ يكرر نفسه و ليس للتاريخ عمل ليكرر نفسه، يكرر التاريخ نفسه لأننا و ببساطة غير واعين ونكرر باستمرار الأخطاء نفسها، يبقى الوعي نفسه مما يجبرنا على اختبار المعاناة نفسها كل حياة... لا ينمو و لا يتقدم .

يكفي ما فقدناه من وقت و لنبدأ العمل بعمق على وجودنا؛ و لنبدأ البحث عنه و التعرف عليه، فعند التعرف على وجودنا لن نكون بحاجة لولادة أخرى في جسد كهذا؛ لن نكون عندها بحاجة للولادة في سجن آخر... سنكون أحراراً من كل السجون... إن هذه الحرية هي الدرس الأكثر أهمية الذي علينا تعلمه من كل هذه الحيوات .

لكننا سكارى نحيا و نموت، نموت و نحيا تحت تأثير الثملة نفسها .

روى أحد الرجال لأصدقائه في المقهى كيف أن طفله ذو الأعوام الخمسة تسبب في جعل مربيته حاملاً، فاعترض أحد الأصدقاء بأن هذا مستحيل لكن الرجل عاد و قال «هو كذلك، فقد ثقب الأحمق الصغير جميع أغمدتي المطاطية بقلمه.»

يسير كل شيء دون وعي و لكن الشيء الأهم الذي علينا تذكره هو عدم إضاعة أية فرصة لتطوير وعينا الذي علينا أن نصل به إلى درجة تمكنه من إدراك نفس الرؤية و نفس

الوضوح و الفهم الذي تمتع كبار المعلمين... و قبل ذلك سنستمر في تكرار الخطأ نفسه... لا يمكننا أن نتوقع من إنسان غير واع أن يتمكن من تغيير شيء في مسيرة حياته... إنه الوعي النامي و المتطور باستمرار من يستطيع إحداث تغيير في حياتك، حالما تفيض بالعي، باليقظة و الاستنارة لن تعود بحاجة للعودة إلى رحم أخرى، و يتلاشى الوجود المستنير في الرحم الكونية و عندها تفقد فرديتك كلياً، بل في الحقيقة أنت لأول مرة في حياتك دون حدود وتضاهي الكون غير المتناهي في اتساعه.

لمعاناتنا سبب واحد هو أننا لا متناهون و أجبرنا أنفسنا على الإقامة في أجساد صغيرة محدودة و ضعيفة، أجبرنا أنفسنا لتبقى خاضعة لأفكار و قلوب صغيرة و محدودة... يريد جبنا أن يكبر و يكبر لكن قلوبنا صغيرة جداً، يريد صفاؤنا أن يصبح كصفاء السماء الخالية من الغيوم لكن عقولنا صغيرة و مزدحمة، يريد وجودنا أن يمتلك أجنحة

ليطير إلى الشمس كالنسور لكنه سجين في قفص من جدران ثلاثة فكيف له الخروج ؟!

لم يبن الشرق حضارة و لا علماً و لم يطور الكثير من التكنولوجيا ، و السبب في ذلك أنه كرس كل إمكاناته للبحث في الوجود الداخلي للإنسان؛ لقد عثر الشرق على المفتاح الذهبي الذي يفتح الباب نحو سعادة بهاء الوجود الغامرة مما سيمكنك من الحصول على العطايا من جميع الاتجاهات .

لست مخلوقاً معذباً بل تحمل في داخلك إلهاً عليك البحث عنه و اكتشافه، هذه هي المعجزة الوحيدة و ما سواها هوامش غير ضرورية.

openkandil.com